ماهية القضاء والقدر فى عقيدة المصرى القديم♦

د.رحاب عبد المنعم باظة•

الملخص:

تعتبر قضية القضاء والقدر من أكثر القضايا التي أثارت جدلاً بين الناس، ذلك أن كل إنسان يريد أن يجادل فيها بعلم أو بغير علم، ويتساءل معها: هل خلق الإنسان مصيراً أو مخيراً؟ وهل الإنسان له الحق فى اختيار مصيره وقدره؟ أم لا؟ والقضاء هو كلمة مشتقة من فعل "قضى" متعدد المعانى، أما القدر فهو من القدرة والتقدير، والقدر هو القضاء والحكم من الله عز وجل.

وإذا كان الإيمان بالقضاء والقدر هو شرط من شروط الإيمان التى يصح بها الإسلام كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فإن الإيمان بالقدر كان معروفاً عند المصرى القديم، بل إن النصوص المصرية القديمة عكست بعض المفردات اللغوية التى عبرت عن معنى (القدر) و(القدر الطيب) من الدولة القديمة واستمرت حتى عصور الحكم اليونانى الرومانى لمصر. وما زال الغموض يكتنف بعض جوانب هذا الموضوع ويثير مجموعة من التساؤلات للتعرف على ماهية القضاء والقدر عند المصرى القديم، لذلك اخترت هذا الموضوع للدراسة.

الكلمات الدالة:

القضاء- القدر- المصير- الجبر – الاختيار – الدعاء – السحر- الإله – شاي.

♦ وتتقدم الباحثة بخالص الشكر والتقدير لسعادة الدكتور/ ميسرة عبد الله حسين الأستاذ المساعد بكلية الآثار- جامعة القاهرة، وفضيلة الدكتور/ عرفة النادي المدرس بكلية أصول الدين- جامعة الأزهر وذلك على ما قدماه من إسهام علمي وآراء قيمة لهذا البحث.

•**دكتوراة في الاثار القديمة عضو اتحاد الآثاريين العرب، وعضو الجمعية التاريخية**

rehab_baza@hotmail.com

المنارة للاستشارات

www.

بسم الله الرحمن الرحيم،

"الحمد لله رب العالمين ..والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين"،

يعتبر موضوع "القضاء والقدر" من أكثر الموضوعات التى أثارت جدلاً بين الناس قديماً وحديثاً، ولا يزالون مختلفين، فهو موضوع قديم شغل أذهان المفكرين على مر العصور، تحدث فيه الفلاسفة وعلماء الدين وعلماء الأخلاق. فقضية القضاء والقدر ليست مما اقتصرت عليها العقيدة الإسلامية وحدها لكن تعرضت لها كل الأديان، فهى قضية عامة إذن، قال تعالى: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"[١].

أما في العصر الحديث فقد بينها لنا مونتجمري وات الذي أظهر كيف واجه العقل الأوروبى هذه القضية بطريقة حاسمة قائلاً:"استطاعة الله سبحانه، واستطاعة الإنسان تبدوان كحقيقتين متعارضتين أو متواجهتين أو حتى متكاملتين، ولا يمكن للإنسان فى هذه المرحلة من تطوره الفكرى أن يوفق بينهما، لكن لابد أن يعتقد فى صحتها أى لابد أن يؤمن أن الله على كل شئ قدير، وأن يؤمن أيضاً بأن الإنسان مسئول عن تصرفاته"[٢].

والإيمان بالقضاء والقدر عقيدة من العقائد التى أسسها الإسلام[٣] على الإيمان بالله عز وجل[٤]، فهو أحد أركان الإيمان الستة، وهذه الأركان الستة هى الأصول التى بعث بها الرسل عليهم السلام جميعاً، ونزلت بها الكتب السماوية فلا يتم إيمان فرد إلا إذا آمن بهم جميعاً[٥].

وكان الناس دائماً ينقسمون فى مسألة القضاء والقدر إلى فريقين: فريق يرى أن الإنسان مسير مغلوب على أمره كالريشة فى مهب الريح تتحكم فيه أقداره بحتميات تقهره ولا يستطيع ردها، وجاء العلم الحديث لينضم إلى هذا الفريق بزعم أن الإنسان

---

[١] سورة يس، الآية رقم (٨٢). ومحمد الغزالى : عقيدة المسلم، ص٩٦.

[٢] منتجمري وات: القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحاه، ص ٧. ومحمد الغزالى: عقيدة المسلم، ص٩٦.

[٣] قال تعالى: "لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...."، انظر: سورة البقرة، الآية رقم (١٧٧). كما ورد فى الحديث الشريف الصحيح لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فرد عليه قائلاً: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث"، انظر: صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة.

[٤] محمد الغزالى: عقيدة المسلم، ص٩٦.

[٥] محمد نعيم ياسين: الإيمان: أركانه – حقيقته – نواقضه، ص٩.

المنارة للاستشارات
www.

أسير موروثاته وبيئة لا يستطيع منها فكاكاً، ولذلك فهو غير مسئول عن أعماله، وفريق آخر يرى أن الإنسان سيد نفسه ومالك قدره، وأنه حر طليق لا تغيره إرادة فوق إرادته، فهو مختار فيما يفعل وفيما يكسب فهو أمير نفسه وهو مسئول عن أعماله[٦].

وإذا بحثنا فى عقيدة المصرى القديم عن ماهية القضاء والقدر، وفكرة الجبر والاختيار، وهل الإنسان مسير أم مخير، وجدنا ما يؤيد هذا تارة وما ينافيه تارة أخرى، أما نصوص المصري القديم فقد عكست لنا ما يعبر عن هذه المعاني في تعاليم آمون إم أوبت قائلاً:

"لا تندفعن بقلبك وراء الثروة،

إذ لا يمكن تجاهل "شاي" و"رننت" (إلهي القدر والمشيئة)،

ولا تضعن أفكارك في أمور في الخارج،

فكل إنسان مقدر له ساعته (قدره)....."[٧].

١/ تعريف القضاء والقدر :

١/١: معنى القضاء والقدر فى اللغة العربية:

تعرف كلمة (القضاء) لغة: هو من فعل(قضى) متعدد المعانى، ومنه (الصنع والتقدير)، فيقال قضاة أى صنعه وقرره[٨]، أما فى الاصطلاح فهى: إرادة الله تعالى للأشياء فى الأزل حسب علمه، وكتابة ذلك فى اللوح المحفوظ[٩]، قال تعالى: "فقضاهن سبع سماوات فى يومين"[١٠].

أما (القدر) فى اللغة: فهو من القدرة والتقدير[١١]، ومن صفات الله عز وجل (القدير)، و(القادر)، فالله سبحانه وتعالى مقدر كل شئ وقاضيه، كما أن (القدر) هو القضاء الموفق، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور[١٢]، أما

---

[٦] أبو الوفاء محمد درويش: القضاء والقدر، ص٦.
[٧] سليم حسن: الأدب المصري القديم، ج ١، ص ٢٥٦.
[٨] محمد بن أبى بكر الرازى: مختار الصحاح، ص٥٤١.
[٩] محمد ربيع الجوهرى: عقيدتنا، ج ٢، ص١٥٩.
[١٠] سورة فصلت، الآية (١٢).
[١١] محمد بن أبى بكر الرازى: مختار الصحاح، ص٥٢٣.
[١٢] ابن منظور: لسان العرب، ٣٥٤٥.

المنارة للاستشارات
www.

فى الاصطلاح: فهو إيجاد الله تعالى للأشياء طبقاً لما علمه أزلاً وأراده[١٣]، قال تعالى: "إنا أنزلناه فى ليلة القدر"[١٤].

والفارق بينهما أن القضاء فى الأزل، والقدر فيما لا يزال، لأن القضاء وجود جميع المخلوقات فى اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها فى أوقاتها التى حددها الحق لها بأوصافها ومقاديرها وشروطها[١٥].

أما كلمة (المشيئة) فى اللغة: فهى مشتقة من الفعل (شيأ)، والمشيئة هى الإرادة، وهى مصدر (شاء)، و(يشاء)، وقالوا كل شئ بمشيئة الله، أى بإرادته، وأشياء جمع (شئ)[١٦].

٢/١: معنى القضاء والقدر فى اللغة المصرية القديمة :

أطلق على (القدر) فى 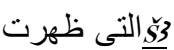 مصر القديمة *šꜣ* التى ظهرت منذ عصر الدولة الوسطى، وأحياناً تكتب 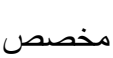 ونادراً ما كانت تكتب بدون مخصص لفة البردى، وتأتى كذلك بمعنى (يحدد)، أى (المصير الذى يحدده الإله)، و(تحديد مصير شخص ما) [١٧]. أما تشيرني فيرى أنها فعل *šW* بمعنى (يقدر) وأن هذا ما تكتبه الحتحورات السبعة عند مولده[١٨].

وفى الأسرة الثامنة عشر أصبحت كلمة 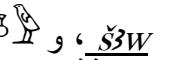 *šꜣW* ، و 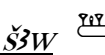 ، فى الأسرة التاسعة عشر سجلت هكذا 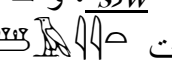 *šꜣi*، ووردت 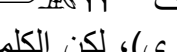 *šꜣit* بمعنى (كتابى)، ومن المؤكد أنها تعنى (ما قدر لى) أو(قدرى)، لكن الكلمة وردت مع أداة التعريف *pꜣ*، فأصبحت *pꜣ šꜣit* ، وبصفة عامة فإن الكلمة كانت تأخذ مخصصات لفة البردى ، أو مخصص الإله أو الشخص المدفون فى وضع القرفصاء[١٩]. كما تأتى كذلك بمعنى (القدر الطيب) أو (الحظ السعيد) عندما تضاف لكلمة *rnnt* 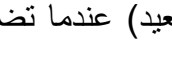 فتأتى الكلمة موصولة بها[٢٠].

---

[١٣] محمد ربيع الجوهرى: عقيدتنا، ج ٢، ص١٥٩.
[١٤] سورة القدر، الآية رقم (١).
[١٥] محمد ربيع الجوهرى: عقيدتنا، ج ٢، ص١٥٩.
[١٦] ابن منظور: لسان العرب، ص ٢٣٦٩.
[17] Wb IV 402, 8, 9.
[١٨] ياروسلاف تشيرني: الديانة المصرية القديمة، ص ٦٨.
Wb IV 403, 11.
[20] Wb IV 404, 1-3.

المنارة للاستشارات
www.

وعكست النصوص المصرية القديمة أيضاً كلمة *bȝw* كمعنى من المعانى المرتبطة بالقدر فتأتى بمعنى (تحديد مصير المتوفى) أى (القضاء)؟[٢١]

أما كلمة 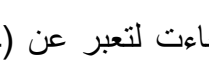 *sp nfr* فجاءت لتعبر عن (حسن الفعل) ومن ثم (المصير والقدر الجميل (الطيب) [٢٢]، فى حين جاء المصير *shri* بمعنى (سبب) وكذلك (عوض) منذ عصر الدولة الوسطى وأخذت مخصص (لفة البردى)، وفى كثير من الأحيان منذ العصر المتأخر إلى اليونانى الرومانى جاء بمخصص القلب

نوعاً ما فتصبح الكلمة *hrw* بمعنى (تكون مرضية) [٢٣]. أما كلمة *hrw* نفسها فظهرت منذ نصوص الأهرام كمصدر وتأتى كذلك كنعت (فعل وصفة) بمعنى (تكون راضية)، حيث تأتى مرادفة لكلمة *htp* بمعنى (يستريح) [٢٤]، والكلمة تأتى كفعل خاص بالأشخاص لتعبر عن *hrỉ ỉb* أى (القلب الراضى) وكذلك (النفس الراضية)، ونادراً ما كانت تستعمل لغير الأشخاص[٢٥].

٢/ مراتب القضاء والقدر:

يتعلق القضاء والقدر بوقائع الحياة وأحداثها، وأعمال الناس وتصرفاتهم على نحوين واضحين متميزين: لكل نحو منهما حكمه الخاص وآثاره التى تترتب عليه وهما الجبر والاختيار، ولكن قبل أن نوضح كل قسم منهما ونوضح معالمه فعلينا أن نعلم أن أهمية الإيمان بالقضاء والقدر هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر بقضاء الله وقدره وأنه الفعال لما يريد، ولا يكون شيئاً إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته[٢٦]، فهو فهو سبحانه وتعالى مريد الكائنات مدبر للحادثات فما يجري في الملك والملكوت لا يكون إلا بقضاء الله وقدره فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الفعال لما يريد، ولا معقب لقضائه[٢٧].

والحقيقة أن مراتب القضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة أربع مراتب هى العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، فإن عثر على أنهم بنفس جوهرهم فى عقيدة المصرى القديم فهذا يعنى أن المصرى القديم قد أدرك ماهية القضاء والقدر على نفس المفهوم السماوى الذى بعث به الرسل والأنبياء جميعاً فالعقيدة واحدة لا تتغير، وعلينا إذاً

(21) Wb IV 413, 17.
(22) Wb IV 255, 1, 2.
(23) Wb IV 207 & 208.
(24) Wb IV 496, 6.

(٢٥) محمد الغزالى: عقيدة المسلم، ص٩٦.
(٢٦) أبو الوفاء محمد درويش: القضاء والقدر، ص٩.
(٢٧) أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين، ج١، ص١٥٦.

المنارة للاستشارات
www.

دراسة هذه المراتب أولاً، فمنهم من جمعهم فى درجتين ومنهم من فصلهم فى أربع ولكن مضمونهم واحد لا خلاف فيه.

١/٢- المرتبتان الأولى والثانية العلم والكتابة :

وهى أن يؤمن الإنسان إيماناً جازماً بأن الله تعالى عليم بالخلق، وهم عاملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال[٢٨]، فكل ما يوجد من أعيان وأوصاف ويقع من أفعال وأحداث فهو مطابق لما علمه الله عز وجل أزلاً، ثم كتابة ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ[٢٩]. قال تعالى: "أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ"[٣٠] ، كما ورد في الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: أكتب. قال: رب وماذا أكتب؟قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة"، وفي رواية أخرى قال: "اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد"[٣١].

عكست النصوص المصرية القديمة ما يؤكد أن المصرى القديم أدرك أنه قد أحاطت به بعض الظروف المؤثرة مثل : موضع الولادة msxnt، وكذلك ظروف قدرية حظ الإنسان ونصيبه (قدره ومصيره (شاى أو شايت) [٣٢]. ولأن الغد دائماً يقع بين أيدى الإله فالطفل يولد مصحوباً بالعناية الإلهية، ثم يمارس الإنسان أعماله من خلال رضاء الآلهة وموافقتها فالبشر يقترحون الأفعال، أما الإله فيفرضها، وقد عبر عن ذلك أحد حكماء المصريين "الإنسان ينطق بالكلمة أما الأمر فللرب"، ذلك فإنه توجد آلهة فعلية خالقة للبشر هم آمون، وبتاح، وخنوم" لذلك أطلق عليهم اسم "القدر"[٣٣].

شكل رقم ١
خنوم يشكل طفلاً وقرينه

وكانت حينما تأتى ساعة المخاض للمرأة الحامل فإن رع يرسل لها أربع معبودات هن: إيزيس، ونفتيس، وحقت، ومسخنت ليقمن بعملية التوليد، حيث كان على مسخنت

[٢٨] أبو الوفاء محمد درويش: القضاء والقدر، ص١٠.
[٢٩] ابن تيمية: شرح العقيدة الواسطية، ص ١٥٣-١٥٤.
[٣٠] سورة الحج، الاية رقم (٧٠).
[٣١] منصور علي ناصف: التاج الجامع للأصول، ج ٥ ، ص ١٩٢.
[٣٢] عبد العزيز صالح: ماهية الإنسان ومقوماته فى العقائد المصرية القديمة، ص١٦٠.
[٣٣] ياروسلاف تشيرنى: الديانة المصرية القديمة، ص٦٩-٧٠.

المنارة للاستشارات
www.

تحديداً أن تقدر للمولود قدره السعيد، وقد ورد هذا فى قصة ميلاد (رودجدت) والكاهن (وسررع) من أولياء رع رب الشمس، وأصبح هؤلاء المواليد بعد ذلك رأس الأسرة الخامسة[٣٤]، وجاء فى النص الموجه من رع إلى المعبودات الأربعة: "قفن واذهبن انتن وخلصن رود جدت من ثلاثة الأطفال..... وبعد تمام الولادة اقتربت مسخنت من المولود الأول وسركاف وقالت: "ملك سيتولى الملك فى البلاد قاطبة"، ومنحه "خنوم" الصحة فى جسمه.... ثم فعلن ذلك بالمولودين الآخرين"[٣٥]. ويتضح من خلال هذا النص التطابق بينهما، انظر شكل رقم (١) الذي يصور خنوم يشكل طفلاً وقرينه[٣٦].

فنجد أن تحديد عمر المولود، وخصائصه مثل قوته فى الحياة، وصحته الجيدة (شاى)، وعمله ونجاحه فيه (رننوتت) وأن هذا كله يدون فى كتاب[٣٧]. يتفق تماما مع ما ورد فى الحديث الصحيح المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال "إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد..."[٣٨]. ومن هنا تتبين تحقق هذه الدرجة التى تشتمل على مرتبتين من مراتب القضاء والقدر هما العلم والكتابة عند المصرى القديم، فيقدر للمولود عند ولادته عمره وعمله وصحته، ثم تقوم الحتحورات السبعة بكتابة ما قدر للمولود عند مولده[٣٩].

٢/٢- المرتبتان الثالثة والرابعة (المشيئة والخلق):

تعني هاتان المرتبتان من مراتب القضاء والقدر أنه لا يقع شئ إلا بمشيئته تعالى وإرادته، وأنه تعالى قادر على كل شئ وأنه تعالى رب كل شئ وخالقه، فلا رب غيره، ولا خالق سواه، ولا مدبر إلا هو[٤٠]، قال تعالى: " وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا"[٤١]. فكل ما في الكون يكون بمشيئته، وأم ما لم يشأ لم يكن، وأنه لو شاء لكان خلاف الواقع، ولو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه،

---

[٣٤] عبد العزيز صالح: الأسرة المصرية فى عصورها القديمة، ص٧٧-٧٨.
[٣٥] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٩٤-٩٥.
[٣٦] ياروسلاف تشيرني: الديانة المصرية القديمة، ص ٦٢.
[37] Shirun, I.G., Schicksal, LA V, 599
[٣٨] صحيح البخارى، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته.
[٣٩] ياروسلاف تشيرني: الديانة المصرية القديمة، ص ٦٨.
[٤٠] عبد العزيز سيف النصر وآخرون: المنهج الإسلامى فى العقائد والأخلاق، ص٩٢.
[٤١] سورة الإنسان، الآية رقم (٣٠).

المنارة للاستشارات
www.

فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذه حقيقة الربوبية، فلا مالك غيره، ولا مدبر سواه[٤٢].

أما عن مرتبة الخلق فهي الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، فما من موجود في السموات والأرض إلا الله خالقه حتى الموت، وكل ما يحدث لهذه المخلوقات من صفات وتقلبات هي أيضاً مخلوقة لله عز وجل، حتى أفعال العباد الناتجة عن إرادتهم وقدرتهم فالله تبارك وتعالى هو الذي خلق في الإنسان القدرة والإرادة[٤٣]، قال تعالى: "اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ"[٤٤].

ذكرت النصوص المصرية القديمة ما يؤكد أن هاتين المرتبتين (المشيئة والخلق) مترابطتين معاً فى عقيدة المصرى القديم، فورد في ابتهال إلى رع من بردية أنستاسي الثانية:

"تعال إلى يا رع – حور – آختي لتعنى بى،

إنك أنت الفعال وليس أحد سواك يفعل شيئاً،

إنك أنت فحسب الذى يفعل كل شئ".

والنص ينسب لرع وحده الأفعال كلها دون غيره[٤٥]، بل إنها تتشابه في المعنى مع قوله تعالى: "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ"[٤٦]، أما فى التعاليم التى وجهت للملك مريكارع، فقد ورد فيها تصوير للإله الخالق الحاكم الرءوف بحيث تدل كلمة (إله) فيها على مدلولها الحقيقى خاصة فيما يتعلق بالخلق جاء فيها: "إن الإله قد عنى عناية حسنة برعيته، فقد خلق السموات والأرض وفق رغبتهم، وخفف الظمأ بالماء، وخلق الهواء لتحيا به أنوفهم، وخلق النبات، والماشية، والطيور، والسمك غذاء، وهو كذلك يعاقب، فذبح أعداءه وعاقب أطفاله (إشارة لأسطورة هلاك البشر) بسبب ما دبروه حينما عصوا أمره....."[٤٧].

كما ظهر أيضاً فى بعض التراتيل الموجهة لآمون على بردية بالمتحف المصرى قبيل بدء الدولة الحديثة تؤكد أن الخالق ذو نظام يختلف تماماً عن كل الآخرين، وأنه

---

[٤٢] ابن القيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ١١٣.
[٤٣] أبو الوفاء محمد درويش، القضاء والقدر، ص ١٤-١٥.
[٤٤] سورة الزمر، الآية رقم (٦٢).
[٤٥] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ٢، ص١٥١.
[٤٦] سورة الأنبياء، آية (٢٣).
[٤٧] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص ٢٠٥.

المنارة للاستشارات
www.

خالق كل شئ حتى الحشرات[٤٨]، وظلت هذه الفكرة تتطور بعد ذلك حتى ظهرت فى تسابيح.. وجهت لآتون قبل عهد أخناتون ورد فيها:

"عز وجهك رع البهى كل نهار،...

عز وجهك آتون النهار،

خالق الخلائق ومدبر حياتهم، ....

أنت مبدع ما تخرجه الأرض،

أنت خنوم آمون البشر،

دبرت فكنت الصبور،

عظيم الجهد فيما تفعله، ...." [٤٩].

وقد بلغت هذه المعانى القدرية والصوفية ذروتها فى أناشيد أخناتون الموجهة لأتون قائلاً فيها:

"خلقت الأرض بمشيئتك بينما كنت وحدك،

والبشر، وكل الماشية، كبيرها وصغيرها، وكل شئ على الأرض يمشى على رجلين....

وضعت كل شخص فى مكانه،

ونهضت بأعباء احتياجاتهم،

كل منهم له طعامه، وحياته المعدودة عليه، ....

وفى العالم السفلى خلقت النيل الذى تريد أن تطلقه حسب مشيئتك ليغذى العامة"[٥٠].

وفى تعاليم آمون إم أوبت نجد نفس الجمع بين الخلق والإرادة معاً: "الإنسان من طين وقش، والله هو مسويه، وهو يهدم ويبنى كل يوم، وهو يصنع ألف تابع حسب إرادته"، وكأنه يشير إلى هداية الله لمن يشاء إلى صراط مستقيم فى الجملة الأخيرة[٥١].

ومن هذه النصوص المتعاقبة فى الزمن المترادفة فى المعانى يتبين كيف نسب حكماء مصر القديمة الأفعال كلها للإله وحده فحسب، وأنه خلق الخلائق كلها ودبر حياتهم،

---

[٤٨] جون بينز وآخرون: الديانة فى مصر القديمة، ص٢٣٤.
[٤٩] عبدالعزيز صالح: الوحدانية فى مصر القديمة، ص١٦.
[٥٠] جون بينز وآخرون: الديانة فى مصر القديمة، ص١٤٢-١٤٣.
[٥١] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٢٧١.

المنارة للاستشارات
www.

وأن هذا كله جرى وفق مشيئته، فجمعت نصوصهم بين المشيئة والخلق القائم على الإرادة والقدرة، وإن اختلفت المسميات فى كل مرة ما بين آمون، ورع، ورع حور آختى، وآتون، وهذا يدل على أن مراتب القضاء والقدر تغلغلت فى نفوسهم وتأكدت لأزمنة طويلة توارثوها عبر العصور وإن اختلفت مسميات هذا الإله الذى خاطبوه بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع، فقالوا: خالق، مدبر، مشيئتك، حتى قالوا لآتون: كنت وحدك، إقراراً منهم بأن القضاء والقدر من عمل إله واحد دون غيره. وهذه قمة الوحدانية في المناجاة والإقرار للإله بذلك.

٣/ المداخل إلى ماهية القضاء والقدر:

توجد عدة مداخل تقود إلى ماهية القضاء والقدر. ويعتبر أهم هذه المداخل هى فكرة الجبر والاختيار، وهل الإنسان مسيرٌ؟ أم مخيرٌ؟ تلك القضية الجدلية الحائرة الفكر فى كل زمان ومكان. وهل يستطيع الإنسان أن يدفع الأقدار؟ وإن أصابته ضراء أو مخاوف من مجهول، ونحو ذلك فهل يستطيع دفع هذا القدر؟

١/٣- الجبر والاختيار فى الحياة الدنيا:

١/١/٣: فكرة الجبرية في حياة المصري القديم:

الجبر هو كل الأمور التى تحدث وتتم بمحض القدرة العليا، ووفق المشيئة الإلهية وحدها، وهى التى تتخذ فى الناس طوعاً أو كرهاً، كالعقول وما بها من ذكاء أو غباء، والأمزجة ومواصفات الأجسام، والزمان الذى يولد فيه الإنسان، والمكان الذى يحيا به، والبيئة التى ينشأ فيها، والوالدان اللذان ينحدر منهما، وكذلك الحياة، والموت، والصحة، والمرض، والسعة، والضيق، وكل ما ليس للإنسان دخل فيه[٥٢]، قال تعالى: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"[٥٣].

وقد ورد فى قصة (رودجدت) ما يؤكد فكرة الجبرية من حيث الميلاد، وكتابة الرزق، وتحديد العمر، وكذلك العمل، وأيضاً في أسطورة (ميلاد حتشبسوت) أن الملك تحتمس الأول الأب البشري لها تلقى إرادة ربه آمون عن رضا وقناعة، ونادى بمولودته شريكة له في الحكم[٥٤]، وكذلك في قصة (نجاة الملاح) التى اشتهرت بـ (الملاح الغريق) ما يؤكد فكرة الجبرية. ويروي الملاح قصته قائلاً أنه كان فى سفينة مع بعض الأشخاص الآخرين لكن هبت ريح شديدة باردة عملت على ارتفاع الأمواج

---

[٥٢] محمد الغزالى: عقيدة المسلم، ص٩٧.
[٥٣] سورة القصص، الآية رقم (٦٨).
[٥٤] عبد العزيز صالح: الأسرة المصرية في عصورها القديمة، ص ٧٦.

المنارة للاستشارات
www.

فهلك من فى السفينة جميعاً ولم يبق منهم سواه فقذفته الأمواج إلى جزيرة بمفرده، وبعد أن اقتات ببعض الفاكهة التى وجدها، فجأة ظهر له ثعبان أخذ يسأله عما حاق به وطلب منه أن يقص عليه قصته بصراحة مهدداً إياه فاتحاً فمه، فما كان من الملاح إلا أن استسلم له، وسجد له صاغراً، ثم قص عليه ما حدث له، فعقب الثعبان قائلاً:

"لا تخف! لا تخف! إنك إذا كنت قد وصلت إلى، فذلك لأن الإله قد تركك فى قيد الحياة،

فهو الذى أتى بك فى جزيرة الازدواج (التى تسكنها الأرواح السعيدة) .....

أما عنك أنت فإذا كنت قوياً واتسم قلبك بالصبر والتروي،

فإنك سوف تحتضن أبناءك على صدرك، وتقبل زوجتك،

وسترى منزلك مرة أخرى....."[٥٥].

أما عن إيمان المصرى القديم بأن الموت جبري ولا اختيار للإنسان فيه فقد ورد فى نصائح آنى عن الموت (القدر الحتمى) ما يلى:

"إن الذى يبني القبر لنفسه لن يقابل باللوم على ذلك، وإنه لجميل أن تعد لنفسك كذلك على هذا النحو قبراً. وسيأتى إليك الرسول (الموت) وسينصب نفسه أمامك، فلا تقولن: إنى لا زلت صغيراً جداً لتختطفنى، لأنك لا تعرف حقك. والموت يأتى ويختطف الطفل الذى لا يزال يرضع ثدى أمه، كما يختطف الرجل عندما يصبح مسناً[٥٦]"[٥٧].

كما ورد في النصوص المصرية القديمة ما يدل على إيمان المصري القديم بأن رزق الإنسان جبريٌ تماماً كلحظة الميلاد، والموت. فجاء فى تعاليم آمون إم أوبت:

"لا تندفعن بقلبك وراء الثروة،

فلا يمكن تجاهل شاى ورننوتت (القدر المكتوب) أو (القدر والقضاء (المصير)،

ولا توجهن أفكارك إلى أشياء فى الخارج فكل إنسان مقدر له ساعته (خبره موكل بحظه)".

---

[٥٥] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٦١-٦٢.

[٥٦] وأرى أن الحكيم آني قد اقترب في تعاليمه من المعاني السامية في التعاليم السماوية التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "....وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا..."، سورة الحج، الآية رقم (٥).

[٥٧] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٢٣٥.

المنارة للاستشارات
www.

ثم يستطرد قائلاً:

"لا تزيفن فى الدخل على دفاترك،

وبذلك تفسد تدبير الإله،

لا تجلبن على نفسك غضب الإله،

بدون قرار شاى ورننوتت"[٥٨].

والنص فيه نهى عن الطمع فى الرزق لأنه مقدر ومكتوب، وكذلك نهى عن التزييف فى ذلك، لأن الله مقدر للإنسان الرزق فإذا احتال فى ذلك سيعرض نفسه لغضب الإله.

أما تعاليم الملك أمنمحات الأول لابنه سنوسرت الأول من عصر الدولة الوسطى فتبين كيف أن الملك جرت عليه الأقدار فيقول لابنه بعد أن طعن فى السن، ولم يعد فى مقدوره أن يحكم البلاد وحده، وبات غير قادر على التصدى للمؤامرة التى دبرت له فيقول: "تأمل لقد أريق الدم وأنت بعيد عنى، وقد سلمت لك (الملك) قبل أن يسمع بذلك رجال البلاط، وعلى ذلك دعنى، افعل ما تريد، وذلك لأنى لم أحتط لنفسى ضد هذه (المؤامرة) فإنى لم أفطن لها من قبل، هذا فضلاً عن أن قلبى لم ينتبه إلى تراضى الخدم"[٥٩].

كما تؤكد فكرة الجبرية أيضاً قصة (شجار بين إنسان سئم الحياة وبين روحه) التى ظهرت فى عصر الانتقال الأول. وقد نظمها صاحبها فى أربع قصائد نثرية رائعة تبين يأسه من الحياة ومأساته وتحمل فى طياتها معنى جريان الأقدار عليه وليس له سبيل أمامها إلا التخلص من الحياة، فيقول في القصيدة الثالثة:

"إن الموت أمامى اليوم كالمريض الذى يقدم على الشفاء، وكالذهاب إلى حديقة بعد المرض،

إن الموت أمامى اليوم كرائحة بخور المر، وكإنسان يقعد تحت الشراع فى يوم شديد الرياح،

إن الموت أمامى اليوم كرائحة زهرة السوسن، وكما يقعد الإنسان على شاطئ السكر،

---

[٥٨] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٢٨٠.

[٥٩] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٢٠٩، ٢١٤.

المنارة للاستشارات
www.

إن الموت أمامى اليوم مثل مجرى النهر الصغير، ومثل عودة الرجل من سفينة حربية إلى داره....."[٦٠].

ويرى البعض أن هذه القصة مواجهة بين شخصين أولهما المستسلم للقدر ويرى أنه لا خلاص له إلا بالموت، في حين يبدو الشخص الآخر أكثر قوة فيرى أنه على الإنسان أن يدفع آلامه، ويواجه أقداره.

٢/١/٣: فكرة الاختيار في حياة المصري القديم:

الاختيار هوالإرادة الحرة للإنسان. وهو يتصل بالأعمال التى حينما يقوم بها الإنسان يشعر فيها بيقظة عقلة، وحركة ميوله، ورقابة ضميره، ويؤكد على ذلك قوله تعالى: "....فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا...."[٦١]. ومع ذلك فإن هذا الاختيار الذى سيسأل عنه الإنسان لا يقع بأى حال من الأحوال خارج الإحاطة التامة والشمول الكامل لله عز وجل[٦٢]، قال تعالى: "قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى"[٦٣].

تعكس نصوص الأدب المصري القديم أيضاً ما يؤكد فكرة الاختيار فى حياته الدنيا. فلولا أن المصري القديم آمن بحرية الاختيار في حياته وأنه سيسأل عن هذه الحياة يوم القيامة، ما اعتقد ولا آمن فى وجود الجنة والنار كمصير حتمى لأعمال الإنسان في حياته. فورد فى نصوص الحكمة والتعاليم الكثير من حكم الحياة، وآداب السلوك التى تكون غالباً موجهة من والد خبر الحياة بحلوها ومرها وبعد خبرة طويلة فيسوقها إلى ابنه لكى يعمل بها فيحقق لنفسه النجاح والفلاح فى الحياة الدنيا، وفى الآخرة، بل الوصول إلى الإله أيضاً لذلك جاءت هذه النصوص لتخاطب الضمير والوجدان[٦٤]، مثل حكم كاجمنى، حكم بتاح حتب، وتحذيرات إيبورو، وتعاليم مريكارع، وتعاليم الحكيم آنى، وتعاليم الحكيم آمون إم أوبت.

ورد فى تعاليم الحكيم آنى لابنه خنسوحتب – التي ترجع لعصر الدولة الحديثة: "لا تفضين بما فى قلبك إلى ... رجل ... فإن كلمة خاطئة خرجت من فيك إذا أعادها من سمعها تجعل لك أعداء، وإن الإنسان ينزل به الخراب من جراء لسانه. وإن بطن الإنسان أوسع من مخزن الغلال..... واجعل القبيح سجيناً فى بطنك، وفى الحق ستكون دائماً معى، ... ومع ذلك فإن الله يحكم فى صالح المحق، وعندئذ سيأتى عقابه

---

[٦٠] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٢٩٥-٣٠٣.
[٦١] سورة يونس، الآية رقم (١٠٨).
[٦٢] محمد الغزالى: عقيدة المسلم، ص٩٩.
[٦٣] سورة طه، الآية رقم (٥٢).
[٦٤] محرم كمال: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، ص١١.

المنارة للاستشارات
www.

ويلحق به"[٦٥]. فهو إن لم يراع كلامه سيحاسب عليه، ويتعرض لعقوبة الإله إذاً فهو مخير.

أما قصة (قدر الأمير) أو (الأمير المحتوم عليه الموت) - ترجع غالباً لعصر الأسرة التاسعة عشر- فتضرب أروع الأمثلة في انتصار الإنسان على قدره، فهي قصة تصور ملكاً اشتاق أن ينجب ذكراً، فأعطاه الإله ما تمنى، ولكن قدر عليه أن يلقى حتفه على يد تمساح أو حية أو كلب، فلما بلغ ذلك والده بنى له بيتاً فى الصحراء ووضعه فيه، لكن الطفل لما كبر اشتاق للحرية فخرج إلى بلاد النهرين، فتعرف بفتاة أنقذته من الموت عدة مرات، فتخلص من الحية، والتمساح ولم يبق إلا الكلب الذى كان صديقاً له، وإلى هنا تنتهى البردية دون أن يكتمل نصها لكن المؤكد لدينا انتصار الأمير على قدره مرتين، وربما لو اكتملت لوجدنا فيها اختيار وأن الأمير كان بإمكانه أن يغير بدنه فينتصر على القدر المكتوب له، فى حين رأى البعض أنه كان سيلقى حتفه وفق النبوءة[٦٦].

أما أسطورة (هلاك البشر) فتروي أن الإله الخالق بعد أن خلق البشر دبروا له مؤامرة، وكان هو متقدماً فى السن فلما فطن إلى ذلك أرسل للآلهة الآخرين وقال لهم:

"أنتم أيها الآلهة الأقدمون،

انظروا إلى بنى البشر الذين أتوا للوجود بعينى،

فقد دبروا مؤامرة ضدى،

فأخبرونى ما عسانى أفعل فى ذلك.

تأملوا! ....."[٦٧].

فالخالق هنا ليس مسئولاً عن أصل الشر، فهو يعتنى بخير الناس وسعادتهم، أما الشر فمن أنفسهم، فأمامهم حرية الاختيار بين أن يتبعوا رغبات قلوبهم فيسعدون أوقاتهم (عمل الخيرات)، أو لا يتبعون رغباتها وفيفشلون فى السيطرة على أفعالهم، ومن ثم فهم مخيرون بين فعل الخيرات، وعمل المنكرات[٦٨].

ويظهر دور القدر بوضوح فى قصة سنوهى - التى ترجع لبداية الأسرة الثانية عشرة – حيث كان عائداً من غزوة ضد الليبيين بقيادة ولى العهد سنوسرت الأول، وفى

---

[٦٥] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٢٣١، ص٢٣٧.
[٦٦] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص١١٠-١١٥.
[٦٧] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٨٣.
[٦٨] جون بينز وآخرون: الديانة فى مصر القديمة، ص٢٠٩.

المنارة للاستشارات
www.

أثناء ذلك وصل للحملة خبر وفاة الملك أمنمحات الأول وعاد الأمير سنوسرت الأول إلى القصر مسرعاً، فى حين أن سنوهى لما علم بالخبر فر هارباً خلسة إلى سوريا لأسباب غامضة فيقول: "لا أعرف ماذا أتى بى إلى هذه الأرض، فكأنه القضاء والقدر" ثم أخذ يثنى على الملك سنوسرت الأول، وكأنه يتملقه حتى يوافق على عودته إلى مصر بعد أن قضى عمره فى سوريا فيقول: "وأنت يا أيها الإله! أيا كنت، الذى أمرت بهذا الهرب، كن رحيماً وأعدنى ثانية إلى مقر الملك. وربما تسمح لى أن أرى المكان الذى يسكن فيه قلبى، والأمر الذى هو أهم من ذلك أن تدفن جثتى فى الأرض التى ولدت فيها. تعال لمساعدتى....."[٦٩].

في بداية قصة سنوهي نرى أنه كان مجبراً حين فر هارباً إلى سوريا، وقالها بتصريحه إن القضاء والقدر هو الذى أخرجه من مصر، وفى نهاية القصة لما كبر سنه، وضعفت أعضاؤه لم يستسلم للقدر مع أنه كان الأقرب له والأسهل فيستسلم لأقداره ويموت فى سوريا لكنه فضل أن يبتهل للإله، ويخاطب الملك متشفعاً بتاريخه فى القصر الملكى، ولولا إيمانه بأن هناك اختيار فى حياته ما أقدم على كتابة هذا الالتماس للملك ومن ثم فهو فهو ليس مجبراً دائماً.

وإذا تأملنا القصص والحكم والتعاليم السابقة نجد أن بعضها يشير إلى أن الإنسان مجبرُ، والآخر يشير إلى أن الإنسان مخيرُ، والكثير منها يجمع بين الاثنين الجبر والاختيار، وتعتبر تعاليم آمون إم أوبت مرحلة فاصلة فى ذلك، فقبل عصره يعتبر الصلاح فضيلة، والتفكير فى الموت يجعل الإنسان يسلك الطريق السوى فى الدنيا مخافة الله الذى سيجزيه على أفعاله. ولكن فى تعاليم آمون إم أوبت نجد الإشارات إلى أن الإنسان هو المخطئ، ومهما فعل فلن يصل إلى الكمال، وأن الله عادل يمكن للإنسان أن يتوكل عليه، فهو يحب الخير، ويمقت الغش، وتعاليمه كلها تؤكد على أنه كان موحداً، ومن العبث أن نبحث فى ثنايا تعاليمه عن آلهة أخرى فردية، وهو يقول (الله) فى تعاليمه[٧٠].

٢/٣- الجبر والاختيار فى العالم الآخر:

كان للموت مكانة هامة فى فكر المصرى القديم منذ أقدم العصور، فهو البوابة التى تفصل بين عالم الأحياء من البشر، وعالم الآلهة والجن من الكائنات غير المرئية، فهو وسيلة الانتقال من عالم الفناء إلى عالم الخلود، فارتبط بفكرة "البعث"، فالموت عند المصرى القديم حق، ولكنه ليس النهاية، بل كان على المتوفى أن يعرف طبوغرافية العالم الآخر، والأماكن التى يمر منها بسلام، والطرق التى يتجنبها حتى تصبح روحه حرة طليقة حتى يصل فى النهاية إلى قاعة المحكمة، فيمثل أمام

[٦٩] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٤٦، ٥٠.
[٧٠] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٢.

المنارة للاستشارات
www.

أوزيريس إله الموتى، ويوزن قلبه لأنه مصدر الأفعال ومحل النيات، وبعدها إما خلود ونعيم أو موت أبدى[٧١]، فورد فى تعاليم خيتى لابنه: "اصلح مكانك فى العالم الآخر بالاستقامة، وأداء العدالة.....لا تثق فى امتداد السنين، فإن (قضاة الآخرة) يرون العمر كأنه ساعة[٧٢]، واذكر أن الإنسان يبعث ثانية بعد وفاته وتوضع أعماله على هيئة الكوم بجانبه، وأن الحياة هناك معناها الخلود، وأن الغبى هو من يستخف بها....."[٧٣].

وتمدنا نصوص الأهرام بأقدم ما وصل إلينا عن فكر المصرى القديم وتصوره للعالم الآخر(انظر صورة رقم١التي تصور سن نجم يقف على بوابة العالم الآخر)[٧٤]، ورغم أنها نقشت في عصور الدولة القديمة، إلا أنها ألفت فى عهود أقدم منها بكثير، وهى عبارة عن مجموعة من التعاويذ، والتراتيل التى تنفع الملك فى أخراه، وهى تحمل فى طياتها بعث الملك، وخلوده، وتمجيده، وتقديم القرابين باسمه لتحويل نفعها إلى روحه، وبها كثير من أمانى المؤمنين بالآخرة، وكثير من مخاوفهم وعقباتها[٧٥]. فقد كان الملك الميت يلجأ إلى مساعدة الآلهة للتخلص من المصير (القدر السيء) الذى ينتظره فى العالم الآخر، فهو يريد أن يتحرر منه حتى تتجدد حياته مثلما تشرق الشمس، ويتجدد بعثها فى ظلام العالم السفلى، فورد فى النص (١١٧٢) من نصوص الأهرام: "ليتك تصبح كـ (آخ) الذى فى *d3t* ليتك تحيا فى تلك الحياة الجميلة التى يحياها سيد الأفق"، وفى النص رقم (٤٧٤) من نصوص الأهرام: "الآخ للسماء، والجسد للأرض"[٧٦].

وتصف نصوص الأهرام صعود الفرعون إلى السماء، وكيف أنه يشق طريقه بعنف إذا لم يتم قبوله سلمياً، فإن قداسته تصل إلى ذروتها حينما يزود بالقوى السحرية، فورد فيها: "إن وجهى صقر، وقمة رأسى رع، وعيناى الآختان، وأنفى حورس العالم الآخر، وفمى سيد الغرب، ضلوعى هى حورس وتحوت، ومؤخرتى الفيضان الكبير، عضوى التناسلى تاتنن، وأصابع قدمي..... حيات مقدسة"، وتتغير

---

(٧١) فايزة هيكل: مفهوم الموت عند قدماء المصريين، ص٤-٥.

(٧٢) ويمكن مقارنة هذا النص مع قوله تعالى: "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ"، انظر: سورة يونس، الآية رقم (٤٥).

(٧٣) عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، ص٥١٣.

(٧٤) فايزة هيكل: مفهوم الموت عند قدماء المصريين، ص٣ .

(٧٥) عبد العزيز صالح: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج ١، ص ١٤١.

(٧٦) منار مصطفى محمد اسماعيل: وسائل مساعدة المتوفى فى رحلة العالم الآخر، ص٣٤٩.

المنارة للاستشارات
www.

أسماء الآلهة من نص لآخر ليبقى الهدف الحقيقى وهو إعلان الملك المتوفى نفسه أنه صار إلهاً للغرب[٧٧].

ويتبين هنا من نصوص الأهرام ودور الملك فيها أنه كان قوياً مخيراً، وليس مجبراً مسيراً، وهذا يرجع لقوته غير المتناهية التى لا يستطيع أن يوقفها أحد.

وفى عصر الانتقال الأول جاءت التعاليم الموجهة للملك مريكارع وفيها عن الحساب والجزاء:"إنك تعلم أن محكمة القضاء الذين يحاسبون المذنب لا يرحمون الشقى عند مقاضاته، وتسوء العاقبة إذا كان المتَّهم هو الواحد العاقل جحوتي (الذى يدير المحكمة يوم القيامة)". كما يؤكد هذا الملك أيضاً على أن الأعمال الدينونة هى العماد الأعظم للحياة الآخرة الأبدية فيقول لابنه وهو يعظه: "إن الروح تذهب إلى المكان الذى تعرفه ولا تحيد فى مسيرها عن طريق أمسها (طريق الأخلاق)"، ويقول له أيضاً: "زين مثواك (قبرك) الذى فى الغرب، وجمل مكانك فى الحياة بصفتك رجلاً مستقيماً للعدالة، لأن ذلك هو الشئ الذى تركن إليه قلوبهم (أهل الاستقامة)"[٧٨].

وهذه النصوص تؤكد على أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأن الأخلاق الحميدة والاستقامة فى الدنيا تورث صاحبها النعيم فى الآخرة. وهذا يبين كيف أن الإنسان مخيرٌ وإلا ما كان هناك حساب.

وفى نصوص التوابيت نجد أن الشعور بالمسئولية الخلقية فى العالم الآخر قد تعمق تعمقاً عظيماً فى نفوس القوم منذ نصوص الأهرام، كما أن موازين العدالة صارت تحتل مكانة عظيمة ممثلة فى مشاهد حساب الآخرة، فيقول قائل للمتوفى:

"إن أبواب السماء مفتوحة لجمالك. إنك تصعد .... وذنبك مغفور، وظلمك قد محى بأيدى أولئك الذين يزنون بالموازين فى يوم الحساب"[٧٩] ولعل هذا النص يتطابق مع قوله تعالى **فى كتابه الكريم:** " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ"[٨٠]

---

[٧٧]إريك هورنونج: وادى الملوك أفق الأبدية، ص٨٧-٨٨.
[٧٨]سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٢٠٠، ٢٠٤.
[٧٩]جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٢٦٧.
[٨٠]سورة الأنبياء، الآية رقم (٤٧).

المنارة للاستشارات
www.

صورة رقم ١
سن نجم يقف أمام بوابة العالم الاخر- مقبرة سن نجم – الأقصر.

صورة رقم ٢
آني يقف في المحاكمة وشاي يقف بجانب الميزان- كتاب الموتى

واستمراراً لإعلاء هذه القيمة نجد المتوفى يعلن أيضاً فى نصوص التوابيت: "إنه يحب الحق ويكره الباطل، وهو الذى تسير الآلهة فى سبيل عدالته المحبوبة" وصار منذ بداية الدولة الوسطى يضاف إلى اسم كل متوفى نعت "المبرأ" وهو الذى مقتصراً فى نصوص الأهرام على الفرعون فقط، وأصبح بعد ذلك يمنح لكل روح تتسم بالأخلاق الفاضلة[٨١].

وفى عصور الدولة الحديثة ومع ظهور كتاب الموتى وانتشاره نجد الحرص على تجريد المتوفى من كل ذنب وعقاب، وأصبح السحر عاملاً للوصول إلى الغايات الخلقية (كما سنفصل بعد ذلك) فأصبح كتاب الموتى كتاباً للرقى، والتمائم السحرية حتى فيما يخص حساب الآخرة، فنجد أن آنى يوجه كلامه لقلبه وهو يوزن بموازين الآخرة: "يا قلبى لا تقم شاهداً ضدى" ويدونها على جعل مقدس من الحجر ثم صارت هذه الرقية فصلاً مستقلاً بعنوان:

(فصل لمنع قلب الرجل من معارضته له فى العالم السفلى)[٨٢].

---

[٨١] جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٢٦٧-٢٦٩.
[٨٢] جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٢٨٢.

المنارة للاستشارات
www.

أما فى فصل (دخول قاعة الصدق/ الحق) فهى تحتوى على ما يقوله المتوفى عند الوصول إلى قاعة الصدق عندما يطهر فلان من كل الذنوب التى اقترفها[٨٣] ثم يقول للإله:

"سلام عليك أيها الإله العظيم رب الصدق.....إنى أعرف اسمك.....

انظر! لقد أتيت إليك.

وإنى لم أرتكب ضد الناس أى خطيئة.....

وإنى لم آت سوءً فى مكان الحق.....

وإنى لم أرتكب أى شئ خبيث.....

وإنى لم أفعل ما يمقته الإله....."[٨٤].

ولعل أهم ما يبين دور القضاء والقدر فى كتاب الموتى هو منظر المحاكمة في العالم الآخر. حيث يدير أنوبيس المحاكمة ويقف خلفه جحوتي كاتب الآلهة، وخلفه الحيوان المفترس الذى يسمى (الملتهمة)، وبجوار الميزان صور بدقة موحية صورة القدر وفى رفقته (رننوتت ومسخنت) آلهتا الولادة، وتتم هنا إجراءات المحاكمة المعتادة[٨٥]. ويعد هذا المنظر دليلاً واضحاً على كون مصير المتوفى هنا (القضاء) حاضراً أثناء المحاكمة، وبعدها يفضى المتوفى إلى قضائه المحتوم[٨٦]، لذلك فإن المتوفى يعتبر في كتاب الموتى مخيراً، وإلا ما كان هناك حساب على أفعاله إما جنة وإما شقاء أبدي. وهنا يلعب السحر والرقى دورهما الذي يتمثل في السيطرة على القدر الذى يواجه المتوفى، وذلك من خلال الوسائل التى سيجتاز بها أهوال العالم السفلى ومن ثم إعلان براءته أمام المحكمة الأوزيرية.

أما مقابر الفراعنة فى وادى الملوك فقد تميزت بوجود عدة كتب أخرى خاصة بالعالم الآخر نقشت على جدران مقابرهم تهدف إلى تزويد الفرعون بدليل عبور هذا العالم فتقيه من المفاجآت، وعثرات الطريق، والآلهة التى سوف تقابله، وكيف يتجنب الشياطين والزبانية، وتمثل كل ساعة من ساعات العالم الآخر فى هذه الكتب آلاف

---

(83)Fanlkner, R.O.; The Ancient Egyptian Book of the Dead,P.32.

(٨٤)جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٢٧٢.

(٨٥)جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٢٧٨.

(٨٦)ولعل هذا المنظر الرائع والأشهر من مناظر كتاب الموتى يصور لنا قوله تعالى: "فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ"، سورة القارعة، الآيات رقم (٦- ١١).

المنارة للاستشارات
www.

السنين مما يعدون فى الحياة الأرضية[٨٧]، ويتطابق هذا المعنى مع قوله تعالى: "وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ"[٨٨]. وقد ظهرت هذه التعاويذ فى هيئة فصول بعد ذلك فى "كتاب ما هو فى العالم الآخر"، و"كتاب الطريقين" و"كتاب البوابات"[٨٩].

أما النصوص التى فى كتاب "ما هو فى العالم الآخر" *imy dwAt* فشبهت العالم السفلى بمصر، وذكرت أن الشمس حينما تغرب فإنها تنزل إلى هذا العالم كى تشرق من جديد فى الأفق الشرقى، وهو مصور على جدران المقابر الملكية بوادى الملوك، ووجد

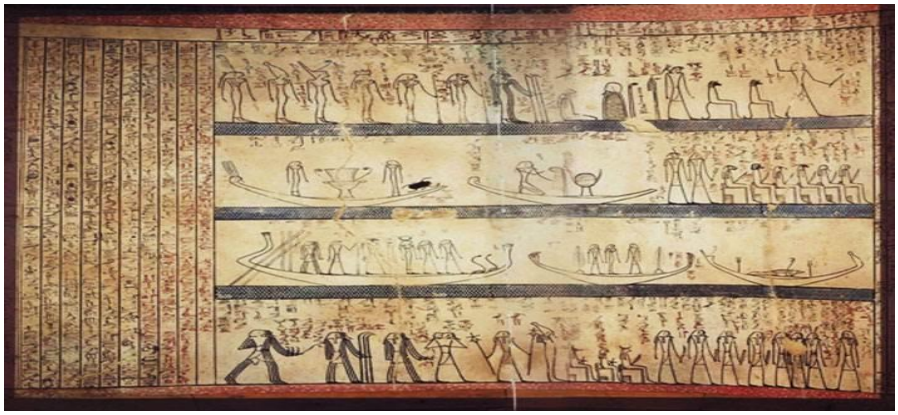

صورة رقم ٣ منظر من كتاب "ما هو في العالم الآخر"

منه نسخة مختصرة على أوراق البردى مصحوبة بالصور التى تبين مسار الشمس خلال ساعات العالم السفلى الاثنتى عشرة، وكأنها خريطة تفصيلية تهدى المتوفى فى العالم السفلى، فهو يصف رحلة إله الشمس فى العالم الآخر منذ لحظة وفاته إذ يختفى فى الغرب يبعث من جديد فى الشرق بعد اثنتى عشرة ساعة كاملة والمفروض أن يلحق به الإنسان المتوفى من جديد[٩٠].

ويلاحظ هنا في كتاب "ما هو في العالم الآخر" *imy dwAt* فى الدولة الحديثة أن المتوفى أصبح مجبراً مسيراً لا مخيراً فهو يصور ساعات الليل كلها، وكيف يعبرها

---

[٨٧]إريك هورنونج: وادى الملوك أفق الأبدية، ص١٠-١١.
[٨٨]سورة الحج، الآية رقم (٤٧).
[٨٩]جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٢٨٨-٢٨٩.
[٩٠]محسن لطفى اليسد: تفسير كتاب ما هو كائن فى العالم الآخر، ص٦-١٢.

المنارة للاستشارات
www.

المتوفى دون مقاومة، أما كتاب البوابات فهو يمثل أيضاً سير الشمس خلال الاثنتى عشرة ساعة الليلية من خلال اثنى عشر باباً يحمى كل منها ثعبان ضخم، وعلى المتوفى أن يعرف اسم الساعة، واسم الباب للمرور خلاله. وقد ورد النص التالى فى المنظر رقم (٤٠) من (كتاب البوابات) يخاطب إله الشمس الموتى الراقدين كموميأوات فوق نعش على هيئة ثعبان قائلاً :

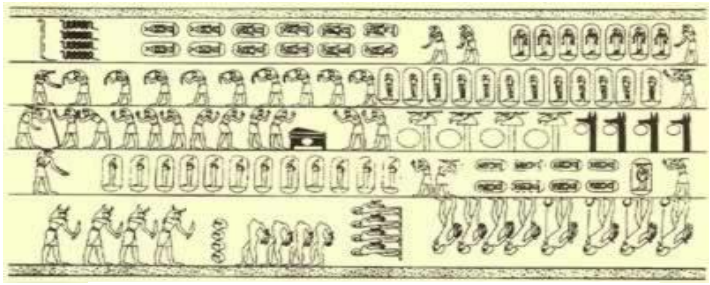

صورة رقم ٤منظر من كتاب الكهوف

"إن أبدانكم سوف تقوم من أجلكم،
إن عظامكم سوف تلحتم من أجلكم،
إن أعضاءكم سوف تتجمع من أجلكم،
إن أنوفكم سوف تتنفس النسيم العذب،
سوف تخلعون عنكم أكفان المومياء،
وتلقون جانباً أقنعة المومياء،
سيدخل ضوء الشمس عيونكم المقدسة،
كى تروا بها الضياء!
تحرروا مما يضجركم، كى تتمتعوا بالحقول (الجنة)".

وقيام الجسد وصحته سيتطلب المرور بعدة مراحل[٩١].

أما كتاب الكهوف الذى ظهر منذ عصر الأسرة التاسعة عشر، وينقسم فيه العالم الآخر إلى ستة أجزاء، كل منها به عدد من المناظر تتعلق بجوانب محددة للعالم

[٩١]للمزيد من الدراسة، انظر: إريك هورنونج، وادى الملوك أفق الأبدية، ص١٨٢ وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.

الآخر، مسجلة فى كهوف يمر فوقها إله الشمس فى مركبه أثناء رحلته، وأكثر ما يميز الكتاب عن غيره أنه استرسل فى بيان أحوال الهالكين ومصيرهم إلى دماء وظلام. وفى هذين الكتابين نجد أن المتوفى مجبراً مسيراً لا مخيراً ، فهو ليس عنده مقاومة ولا سحر يمكنه من اجتياز العقبات التى يجدها فى طريقه للعبور إلى الآخرة بسلام.

٣/٣ : دفع القدر وتغييره :

إذا كان المصرى القديم كان قد جمع بين الجبر والاختيار فى إيمانه العقائدى، فهل يعنى ذلك أنه استسلم لأى حدث يمر به؟ وهل أنه لم يحاول دفع ما به من شرور تصيبه أو آثام فى حياته؟

ويمكننا الإجابة على هذه التساؤلات من خلال دراسة النصوص المختلفة للمصرى القديم التى تبين لنا طريقة فكره واعتقاده، ونجد أن المصرى القديم فكر كيف يدفع القدر ويغيره، وذلك بواسطة السحر والدعاء.

١/٣/٣: تغيير القدر بالسحر:

ظل المصريون يهتمون طوال عصورهم بكل ما هو غامض ومبهم، لذلك فإنهم استخدموا السحر كوسيلة للاحتماء ضد كل ما هو غيبي كينونته أنه غير ملموس، وغير مرتقب، وغير متزن، ويعرف بريزندانز السحر بأنه: "كلما قامت بين فعل أو كلمة وبين حدث ما، علاقة العلة بالمعلول رغماً عن قوانين الطبيعة مع الاعتقاد بأن هذا الحدث نتج بسبب تلك الكلمة أو ذاك الفعل فهنا تكون ممارسة السحر"، وقد مثل لهم السحر القوى الخفية التى يحصلون بها على ما يعجزون عنه كالفوز بحب مرفوض أو إلحاق الأذى بشخص ما، أو محوه من الوجود، حتى ولو كان شخصية ملكية، ومن هنا ظهر السحر الأسود الذى عادة ينتهى بجرم يضع صاحبه تحت طائلة القانون.

وكان بعض الأشخاص إذا أصابه ضرر ما من خلال قدر سئ، أو بتأثير أحد الموتى الأشرار، فكان يستعين بأحد السحرة الأفزاز ليخلصه مما أصابه من ضر، وكأنه محلل نفسي، وهذا هو السحر الأبيض الذى يحقق الخير لصاحبه، ويجلب المنفعة (من وجهة نظرهم). ولعل تعاليم مريكارع قد ورد فيها ما يؤكد ذلك حيث يقول عن الإله: "لقد خلق السحر من أجلهم حتى يبعد عنهم نوائب الدهر"، وهذا هو السحر الأبيض الواقى الذى كان الكهنة المرتلون والأطباء يستعينون به من أجل الوقاية، والتأمين، والحماية، والشقاء، ودفع أى اعتداء ظاهر أو باطن"[٩٢].

[٩٢]إيفان كونج: السحر والسحرة، عند الفراعنة، ص٧-٩

المنارة للاستشارات
www.

وكان السحر والتعاويذ يلازمان المولود منذ لحظة ولادته حتى يحيا آمناً، ويدفع عنه أى خطر قد يهدده، ومن ثم يبعد عنه الأقدار السيئة، والأحداث العارضة، حيث كان يكتب على هذه التماثيل بعض العبارات الدالة على ذلك، ومنها: "الإله.....قال هو سيعيش أو هى ستعيش". وكانت توضع هذه الصيغة مغلفة حول الرقبة[٩٣]. كما استعانت النساء أيضاً بتمائم خاصة لنجاح الحمل، بعضها كان يشكل على هيئة إناث الحيوانات، والزواحف التى تتميز بكثرة الإنجاب كالضفادع، والقطط. بل كان مما عثر عليه من أدوات الرقاة، والسحرة المصريين كصحن كبير نقش باطنه، وما حوله بصور الضفادع أيضاً، وكان الراقى يملؤه بسائل معين ثم يتلو عليه رقاه ويسقيه لزائراته من النساء، بل إنهم تعدو ذلك أيضاً ولم يكتفوا به فالتمسوا عون الأولياء وكرامات الموتى لتحقيق الخلف، كمن وضعت تمثالاً صغيراً فى قبر أبيها كتبت عليه: "أرجو أن تهب ابنتك سح طفلاً"، فقد استعانوا بالسحر، وخطابات الموتى فى تغيير القدر[٩٤].

وقد استخدمت التمائم بأعداد كبيرة داخل المقابر. ويعتبر الجعران أهمها جميعاً حيث كان يوضع مكان قلب المتوفى أثناء التحنيط، وتدون عليه كتابات مع دعاء ألا يناهض القلب صاحبه المتوفى أثناء الوزن ضمن إجراءات المحاكمة. كما أن هدف التمائم بصفة عامة زيادة القوى التى تعمل على زيادة إمكانات المتوفى وذلك بدءً من عصور الدولة الحديثة بوضعه فوق جسد المتوفى، ومن أهم أشكال التمائم: الجعران، وعلامة عنخ، وعلامة واج، وعين حور (الواجيت) وغيرها، وكانت توضع هذه التمائم فى شكل عقد فوق صدر المومياء من أجل حمايته، وعادة ما تصنع من الذهب، والعقيق، والخزف أو من مواد مقلدة كالزجاج، والخزف بنفس اللون، حيث أن الألوان كان لها دور سحرى أيضاً فى كل هذه الوسائل[٩٥].

كما كان الملك يستخدم السحر أيضاً فى احتفاله السنوى بالعيد الجديد، حيث يقدم له ما يشير إلى الرضاعة، وكذلك تمائم الحياة، ويتلى عليه تراتيل عن أصول منبته، ووظيفته الإلهية، ويوجه فيها الكلام لإيزيس، ويتلقى الملك الأكاليل، والتيجان، ويبدأ فى دهانه تسع مرات تمثل حماية له ضد الموتى: "ها هى الحماية آتية إنها تبعد الموتى، لكى لا يستطيعوا الصعود من مقابرهم"، وبذلك تضفى إيزيس على جسد المتوفى الحماية السحرية حتى يستطيع الاحتفال للأبد[٩٦].

---

[٩٣]جون بينز وآخرون: الديانة فى مصر القديمة، ص٢٢٤.
[٩٤]عبد العزيز صالح: الأسرة المصرية فى عصورها القديمة، ص٧٠.
[٩٥]إيفان كونج: السحر والسحرة عند الفراعنة، ٣١٨-٣٢٢.
[٩٦]ديمترى ميكس وكريستين فافار ميكس: الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ص٣٤٠-٣٤٢.

المنارة للاستشارات
www.

وكان هناك أيضاً سحر دفاعى تأمينى يمكن أن نسميه سحراً وقائياً بحيث لا يكون فعالاً إلا عند حدوث الخطر كالتمرد ضد الفرعون، إذاً فهو سحر لتأمين القدر، وعدم نزول الضرر، ومن ذلك إقران السحر بالإجراءات الحربية بهدف ضمان أمان الدولة وتسمى "صيغة العصيان" وتوجه ضد فئات الشعب المصرى، وهذه الصيغة كان يستعان بها فى الدولة القديمة[٩٧].

وكان السحر يوجه كذلك لحل المشكلات الشخصية، والاجتماعية. فيمكن أن يقوم بتحسين نفسية المريض، ومعنوياته، أو تلطف من التوترات الاجتماعية، بل إنها كانت تؤكد الأعمال الناتجة، وتخفف من النتائج العنيفة فى حالة الفشل، وفى نهاية الدولة الحديثة كان الأشخاص يستخدمون السحر ليحميهم من الضياع، والانهيار الاجتماعى، لذلك نجد بعض التماثيل عليها نصوصاً سحرية، بالإضافة إلى ما ورد فى السير الذاتية. وقد أقام رمسيس الثالث ونبلاء العصر المتأخر تماثيل لأنفسهم فى الأماكن العامة مغطاة بنصوص سحرية، بحيث يستطيع الزوار والكهنة سكب مياه التطهير عليها لتقديم النقيع الذى يشكل علاجاً سحرياً[٩٨].

تعتبر هذه بعض الحالات الهامة التى استعان فيها المصرى القديم فى حياته الدنيا بالسحر إما للوقاية والتحصين ضد أى قدر سئ ينتظره، أو للتغلب على أقداره كالمرض والعقم و.... إلخ. لكن بالرغم من أهمية السحر في حياة المصري القديم بصفة عامة، ودفع الأقدار غير المحببة بصفة خاصة إلا أنه فى عهد أخناتون لم يوجد أى أثر للسحر فى عاصمته الجديدة (تل العمارنة الحالية) تلك القوة المؤثرة المتاحة لكل فرد فى العرف، والقانون. مما يعنى أن صفوة القوم الذين اعتنقوا الديانة الجديدة ربما يكونون قد تخلوا عن السحر مع تخليهم عن الديانة القديمة، وأرى أن هذا مرجعه إلى أنهم كانوا مؤمنى هذا العصر. والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان. ومن ثم كان عليهم التسليم بالقضاء والقدر، وليس اللجوء للسحر.

ولم يقتصر الإيمان بأهمية السحر لدفع القدر السئ على أحداث الحياة الدنيوية فقط. لكنه امتد كقوة نافعة فى العالم الآخر اعتبرها المصرى القديم ضامناً له ليعبر العالم الآخر، وتعتبر نصوص الأهرام أقدم نصوص استخدمت فى هذا الموضوع، فهى تتضمن تعاويذ عديدة منها على سبيل المثال تعويذة (لدغة الحية)، وهناك نصوص معاصرة لها فى مقابر غير ملكية كان موجهاً للتماسيح، حيث كانت الثعابين، والعقارب، والتماسيح عقوبة أخلاقية إلهية تنتج من العداء مع قوى الحياة الأخرى أو

[٩٧] إيفان كونج: السحر والسحرة عند الفراعنة، ص١٧٣-١٧٤.
[٩٨] جون بينز وآخرون: الديانة فى مصر القديمة، ص٢١٤-٢١٥.

المنارة للاستشارات
www.

من لعنة الإله، وكانت تستدعى هذه المخلوقات فى التهديدات الموجهة للمتعدين على حرمة المقابر[٩٩].

وتعكس لنا نصوص التوابيت أيضاً ما يصف هذه الأخطار التى يتعرض لها المتوفى. فورد فيها: "انظر يا أوزير! هذا العدو المقيت القائم بين البشر والآلهة، والقطيع البشرى، من عالم الموتى، قد أتى من أجل تدمير بيتك، وتحطيم بابه من أجل شماتة الأعداء فيك، هؤلاء القائمون فى جزيرة السعير"، وفى نص آخر: "فليشاهدوا قواك، فليجددوا من عظمتك! هل تستطيع أن تحطم؟ هل تستطيع أن تدحر أعداءك الذكور والإناث؟ هل تستطيع أن تضعهم أسفل نعليك؟ وهل يستطيع فلان الماثل هنا أن يضعهم تحت نعليه؟".

وهى كلمات تتلى فوق تمثال صغير للعدو من الشمع، ويوضع فى الأرض مكان أوزيريس، وكتب هذا النص فوق توابيت بعض الأفراد، ويتماثل عدو الإله مع عدو الشخص الذى يتحول هو نفسه إلى أوزير. ولم يكن الهدف هو تحطيم التمثال لكن دفنه فقط بالجبانة[١٠٠].

أما كتاب الموتى نفسه فقد تحول إلى مجموعة من التعاويذ والتمائم التى تضمن للمتوفى ثلاثة أشياء هى: التمكن من الخروج فى وضح النهار والاندماج بالأحياء، وأن يحصل المتوفى على براءته فى محاكم العالم الآخر، وأن يكون من السعداء (الآخ) لكى يقبل بين الآلهة فى مركب الشمس[١٠١]. وكان من هذه التعاويذ ما يساعد على الوصول إلى العالم الآخر، ومنها ما يمنع فقدان المتوفى فمه، أو رأسه، أو قلبه، ومنها ما يساعد على استذكار اسمه، ومنها ما يساعد على التنفس،

صورة رقم ٥
مجموعة من الأوشابتي داخل صندوق مصور- للكاهن حنوت محيت.

والأكل، والشرب، ومنها ما يمنعه من أن يأكل برازه، ومنها ما يمنعه من أن يتحول الماء الذى يشربه إلى لهيب، ومنها ما يحول الظلام نوراً، ومنها ما يمنع عن الميت كل الثعابين، والوحوش المؤذية، وغير ذلك الكثير من التعاويذ[١٠٢].

---

[٩٩] جون بينز وآخرون: الديانة فى مصر القديمة، ص٢١١.
[١٠٠] إيفان كونج: السحر والسحرة فى مصر الفرعونية، ص١٨٥-١٨٦.
[١٠١] إيفان كونج: السحر والسحرة فى مصر الفرعونية، ص ٣١٠- ٣١٣.
[١٠٢] جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٢٨٧.

المنارة للاستشارات
www.

وتعتبر محاكمة المتوفى هي الفكرة المحورية لكتاب الموتى. وهي في الفصل رقم (١٢٥)، حيث يظهر أنوبيس وهو يقود المتوفى أمام أوزيريس رب وقاضي العالم الآخر الذى يوجد أمامه ميزان وضع فى إحدى كفتيه قلب المتوفى، وفى الأخرى وضعت الريشة رمز الماعت (الحقيقة)، وبعدها يتحدد مصير المتوفى فهو إما من السعداء أو من الأشقياء، وعندما يكون

هناك استجواب ما للمتوفى فهو لا يتعلق بحياة الميت كما وصفتها تصريحاته لكنه يتعلق بمعرفته ببعض الأسرار، وهى هنا تكون المعرفة بالسحر بجوار معرفته بالعلم اللدني، والمعرفة بالثقافة الفكرية. لذلك فإنه يمكن القول بصفة عامة أن النصوص الجنازية هي نصوص سحرية فى معظمها، وأن هذا اتجاه تزايد مع الوقت تدريجياً.[١٠٣]

وتعد تماثيل الأوشابتى أحد الوسائل السحرية الهامة للمتوفى. حيث توضع معه فى المقبرة لتقوم بالأعمال الشاقة من حرث، وزرع، وحصاد بدلاً من المتوفى فى العالم الآخر، وقد ورد هذا فى الفصل السادس فى كتاب الموتى تحت عنوان: "فصل فى جعل الخادم الجنازى يقوم بعمل المرء فى العالم السفلى"[١٠٤]، كما أن وجود الأوشابتى يضمن للمتوفى توفير الغذاء

اللازم له، (انظر صورة رقم ٥ التي تصور مجموعة الأوشابتي داخل صندوق مصور للكاهن حنوت محيت من عصر الأسرة التاسعة عشر، وهو محفوظ بالمتحف البريطاني) [١٠٥]. أما الصيغة التى سجلت عليه فهى كالآتى:

"أيها الخادم! إذا طلب من المدعو (فلان) أن يؤدى كافة الأعمال التى يجب

أن تؤدى فى عالم الموتى فى هيئة سخرة فعليك أن تقوم أنت بهذه المهمة،

من أجل زراعة الحقول، وري الضفاف، ونقل الرمال من الشرق إلى الغرب،

وبالعكس، وسوف تقول: "حاضر" عندما ينادى عليك فى أى وقت كان"[١٠٦]،

ومن هنا يمكن القول بأن السحر قد استخدم لدفع الضرر عن الأحياء والموتى على حد سواء فكأنه استخدم لرد القدر السئ الذى يخشاه الإنسان. وفى العالم الآخر نجد أن المتوفى قد استعد لذلك بعد التحنيط بمجموعة من التعاويذ السحرية (وإن اختلفت أسماء كتبها عبر العصور)، وكذلك الأوشابتى، والتمائم، والرءوس البديلة، وغيرها. وإن اختلف البعض، وتعاصر البعض الآخر عبر الأزمان المختلفة.

---

[١٠٣] إيفان كونج: السحر والسحرة عند الفراعنة، ص٣١٠-٣١٣.

[١٠٤] جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٢٨٦-٢٨٧.

[105] The British Museum, P.20.

[١٠٦] إيفان كونج: السحر والسحرة عند الفراعنة، ص٣١٧.

المنارة للاستشارات
www.

٢/٣/٣ : تغيير القدر بالدعاء (علاقة الإنسان بالإله):

اعتقد المصرى القديم أيضاً أن الذات الإلهية هى التى تمنح الإنسان التوفيق فى العمل أو تمنعه عنه كما وضحت ذلك تعاليم آمون إم أوبت. كما أن الذات الإلهية طبقاً لاختيار الإله يمكن أن تطيل عمر الإنسان أو تغير مجرى قدراً مذكوراً أو منفراً كتب على الإنسان فيتم تغييره إلى ما هو طيب ومثمر. أى أن الإله إذا أراد أن يغير قدراً غيره فالدعاء يرد القدر[١٠٧]. وهو ما يمكن مقارنته وتطابقه بما ورد فى الحديث الشريف أن الدعاء والبلاء يتدافعان[١٠٨].

وهذا أيضاً يطابق الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سره أن يبسط له فى رزقه أوأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه"[١٠٩]. وهذه الزيادة والنقصان يطلق عليها القضاء المعلن، أما ما هو فى أم الكتاب فهو علم الله تعالى الذى لا محو فيه البتة وهو القضاء المبرم[١١٠].

كما ربطت بعض النصوص بين ذنوب الإنسان وعقوبة الإله وما يلحقه منها بسببها، ومنها ما ورد في تعاليم كاجمنى - التي ترجع لعهد الملك حونى آخر ملوك الأسرة الثالثة الذى أمر وزيره بأن يدون كتاباً يتضمن عدة مواعظ لأبنائه- ورد فيها: "لا تكونن فخوراً بقوتك بين من هم فى سنك، واحذر من أى فرد يغالبك لأن الإنسان لا يعرف ماذا يكون حظه، وما يفعله الله عندما ينزل العقاب". والنص يحذر من الغرور، ومن الحظ ويعني هنا قدر الإنسان، لأن ذلك قد يغلب عليه عقوبة الإله[١١١].

ومن النصوص التى وردت فى ذلك نرى صيغة استغفار موجهة إلى رع ورد فيها:

"أنت أيها الواحد يا "حور آختى" المنقطع القرين!

حامي (الملايين) ومنجى مئات الألوف!

ومخلص من يناديه، رب (عين شمس).

لا تعاقبنى من أجل ذنوبى الكثيرة،

إننى شخص لا يعرف نفسه (؟)

---

[107] Shirun, I., Schicksoll", LA V, 598-599.

[١٠٨] وسيرد بيانه بالتفصيل لاحقاً.

[١٠٩] صحيح البخارى، كتاب البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق.

[١١٠] مروان حسن حمود: القضاء والقدر، ص١٢٠.

[١١١] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص١٩٨-١٩٩.

المنارة للاستشارات
www.

إننى رجل لا حيلة له إذ أتبع فمى (أفكر فى الطعام) طوال اليوم كالثور الذى يتبع علفه".

والنص فيه مناجاة للإله، وثناء عليه، وابتهال ثم توسل، واعتراف بالذنوب، وعجزه عن مقاومة ضعفه أمامها.

وهناك نص آخر موجه إلى الإله جحوتى، الإله الحامى للعلماء يقول صاحبه:

"كونوا سعداء يا أهل حيى، وانعموا يا أقاربى جميعاً .....

إيه يا (جحوتي) إذا أصبحت حامياً لي فلن أخاف العين (الحسد)[١١٢]".

كما ورد أيضاً فى نص لنب آمون فى غرب طيبة، حيث يبتهل لإلهه الأكبر آمون بعد ما مرض ولده قائلاً له:

"لئن شفيت لى ولدى لأقيمن تذكاراً باسمك، وأسجل لك عليه نشيداً مكتوباً".

فلما أجيب دعاؤه أوفى بعهده وأقام نصباً كبيراً لآمون سجل عليه:

"أنت رب السموات!

أنت من تجيب دعوة المسكين.

دعوتك وأنا مهموم فلبيت الدعاء وعاونتنى".

ثم قال: "إن مال العبد إلى الشر، فالرب ميال إلى الصفح.....".

وهنا يتجسد كيف أن الدعاء يغير القدر من المرض إلى الشفاء.... وهكذا[١١٣].

وفى صلاة أخرى إلى آمون ألفها نب رع الذى كان يعمل بجبانة طيبة من عهد رمسيس الثانى حين مرض ابنه وأشرف على الموت (لأنه وضع يده على مقبرة تخص آمون) فحول نب رع وجهه شطر آمون وأعد له هذه الابتهالات:

"أنت يا آمون يا رب الصامت،

ومن يلبى صوت الفقير،

وإذا ما ناديتك وأنا فى بؤس خلصتنى،

إنك تمنح النفس النفس.

إنك تنجينى أنا الذى فى الأغلال.

---

[١١٢] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ٢، ص١٥٢.

[١١٣] عبد العزيز صالح: الأسرة المصرية فى عصورها القديمة، ص١٢٤-١٢٥.

المنارة للاستشارات
www.

أنت يا أمون رع يا رب طيبة إنك مخلص من فى العالم السفلى (جهنم).....

وإذا ناجاك إنسان أتيت من بعيد.

ومع أن العبد مستعد لارتكاب المعصية فإن الرب متهئ دائماً لأن يكون رحيماً".

وأجمل ما في هذا النص أنه يجمع بين الخوف والرجاء. فهو يتضمن تحذيرات من عقوبة الإله مع الطمع فى رحمته[١١٤]، وبعد عهد أخناتون نجد علو التمجيد لآمون وكأن كهنته يردون بذلك على دعوة أخناتون ويهاجمونه: "آمون أنت يا إله القدر (عندك زاد) وإلهة الحصاد، الذى فيه..... كل الحياة، إن الذى لا يعرف اسمك يصيب الويل كل يوم"[١١٥].

ويعكس لنا نصٌ آخر على أوستراكا (شقفة فخار) لمدرس عدة أناشيد طريفة فى مقبرة رمسيس التاسع، ومن بين هذه الأناشيد أربعة لها طابع خاص تدل على أن كاتبها مؤلف واحد. وهى تبدأ بمديح طويل للإله. وفى النهاية تلتمس مساعدته على عدو قوى قد حرم المؤلف غدراً من وظيفته، فالإله هو الذى يقاوم هذا العدو لأنه هو القاضى العادل الذى لا يقبل الرشوة، فيقول للإله:

"جميل استيقاظك أنت يا صور الذى يسبح فى السماء.....

إنك رب يجد الناس فيه فخرهم، إله جبار أبدى، قاض بين الناس،

ومتزعم قاعة القضاء، ثبت العدل ومهاجم الظلم، ليت من تعدى عَلىّ يقتص منه،

انظر! إنه أقوى منه وقد اغتصب منى وظيفتى وأخذها زوراً.

أعدها إلى ثانية!

انظر! إنى أراها فى يدى آخر.

أنت يا أيها الواحد السامى الذى لا يعرف مجرى سيره، ما أشد خفاء ذاته!

الواحد السامى المختلف الألوان(؟) الذى يمنح النور بعينيه المقدستين (الشمس والقمر) ..... والناس يحيون ويموتون بإشارة منه.....

امدد إلى يدك وساعدنى.....أيها القاضى الذى لا يأخذ رشوة....."[١١٦].

وهناك الكثير من هذه الصلوات التى يتضرع بها إلى الآلهة، وإن اختلفت مسمياتها لكنها كانت تخاطب الإله بصيغة المفرد وكانت تنقسم فيها الديباجة إلى قسمين:

---

[١١٤] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ٢، ص١٥٥-١٥٦.
[١١٥] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ٢، ص١٥٤.
[١١٦] سليم حسن: الأداب المصرى القديم، ج ٢، ص١٤٦-١٤٨.

المنارة للاستشارات
www.

الأول : أسماء الآلهة الذين يتضرع إليهم ليدعو المرسل إليه.

الثانى : الإحسان الذى يلتمس منهم.

والآلهة التى كان يتضرع إليها فى الدولة الوسطى عادة ما تكون آلهة محلية كسبك فى اللاهون، وحور وحتحور، أما فى الدولة الحديثة فكانت الآلهة التى يتضرع إليها هى صور الإله آمون المختلفة، وثالوثه (آمون – وموت – وخنسو) وكذلك بتاح وآتون، وزاد عليها فى الدولة الحديثة التماس البركات والنعم من الإله، وفى الأسرتين العشرين والحادية والعشرين كان الرجاء بالحياة والسعادة والصحة والعمر الطويل[١١٧].

ومما لا شك فيه أننا إذا تأملنا هذه الصلوات والرسائل والابتهالات للآلهة المختلفة المسميات ذات الصيغة المفردة وجدنا أنها تمثل قمة الاتصال المباشر بين العبد وربه والذى هو فى حقيقته وكنهه يمثل الوحدانية بعينها والمتمثلة فى آمون إله الدولة الحديثة الرئيسي بها والذى أوشك أن يتخذوه إلهاً واحداً، حتى إذا ما وصلنا[١١٨] إلى تعاليم آمون إم أوبت وصلنا إلى معرفة استعطاف الإله بقوة، والتحذير من مخالفة الإنسان لضميره ومخالفة الإله فيتعرض لعقوبة رب العالمين[١١٩].

وإذا بحثنا عن ذلك فى الشريعة الإسلامية وجدنا أن هذا معلوم فى صلاة قضاء الحاجة[١٢٠]. حيث يصلى الإنسان ثم يثنى على الله بألقابه وصفات تعظيمه أو أسمائه الحسنى ثم يدعو بعد ذلك بما يشاء ويطلب الاستغفار أو قضاء حاجة معينة أو دفع ضرر معين وهكذا، كما أن الدعاء يغير ويدفع القدر السئ عن صاحبه وذلك لما ورد فى الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء والبلاء ليعتلجان إلى يوم القيامة"[١٢١].

---

[١١٧] سليم حسن: الأدب المصري القديم، ج ١، ص٣٥٦-٣٥٧.

[١١٨] سليم حسن : الأدب المصرى القديم، ج ٢، ص١٥٦.

[١١٩] سليم حسن : الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٢٥٥.

[١٢٠] وقد ورد فيها هذا الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم، وقد رواه عبد الله بن أوفى فقال: "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ فليحسن وضوءه، وليصل ركعتين، ثم يثنى على الله، ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم، ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك، وعزائم وغفرتك، والغنيمة من كل بر والسلامة من كل ذنب، لا تدع لى ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين"، وهو حديث ضعيف رواه السخاوى فى القول البديع، لكنه يعمل به في فضائل الأعمال، ص٣٣٠.

[١٢١] الدعاء للطبراني: باب: ما جاء في فضل الدعاء والإلحاح فيه، ص ٣١، حديث رقم (٣٣).

المنارة للاستشارات
www.

٤/ ماهية القضاء والقدر :

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن كيف رأى المصرى القديم هذه القضية الإيمانية هل هو سلوك إنسان؟ أم تدبير إله؟ ما هو إذاً جوهر القضاء والقدر فى عقيدته؟

إذا كان الإله خير حق رحيم خلق الأشياء لنفع الإنسان والعناية به، وإذا كان الإنسان يمتلك قدر الإنسان، فهل يعنى ذلك أن فعل الشر الصادر من الإنسان يقع بإرادة الإله؟ وإذا كان الإله يتصف بالقدرة والسلطة ومن ثم فهو قادر على منع الشر إن هو أراد ذلك، فكيف نفسر وجود الشرور فى العالم؟

إذا رجعنا للتصورات الأولية والأساطير المتعددة عن بداية الخلق وجدنا فى أسطورة هلاك البشر أن الإله خلق العالم بإرادته وأن البشر هم الذين ارتكبوا الشر، ومن ثم يصبح الشر فعلاً فردياً صاحبه مسئول عنه لأن له حرية الاختيار فى الفعل، ومن ثم فالشر قوة خارجية تعمل فى البشر، وكذلك فإن الخير والشر يرجعان للإنسان نفسه، ولذلك فإن عليه تبعات فعله الأخلاقى فهو مسئول ويستحق الجزاء على فعله[١٢٢].

والدليل على ذلك هو النص رقم (٣٠) فى كتاب الموتى ويتوسل فيه الميت للقلب ألا يعارض المتوفى فى مملكة الموتى كى لا يكون شاهداً عليه ولا مدعياً ضده أثناء وضعه على الميزان أثناء المحاكمة[١٢٣]، وذلك باعتباره يمثل الإرادة الحرة المسئولة عن السلوك الردئ والسلوك الحسن لذلك لم يعمد المحنطون إلى فعله أثناء عملية التحنيط[١٢٤].

ويمكننا التوصل إلى أن القضاء والقدر فى الدولتين القديمة والوسطى كان يرتبط أكثر بتحديد الإله، لكن بعد ذلك أصبح يعبر عن القدرة على التعرف بشكل مستقل لكن هذه القدرة خاضعة لمشيئة الإله[١٢٥].

ويمكن تبين ذلك بوضوح فى أواخر الدولة الحديثة، فقامت نصوص التعاليم والحكم والمواعظ المصرية بصهر مبادئ التقوى والأخلاق العامة مع النصائح الدنيوية فى نمط دينى أكثر علانية وصراحة من الأسلاف وتؤكد فى تعاليم آمون إم أوبت لعدة مرات أن ما يحدث للبشر يعتبر قضاء وقدراً من الإله، فهى تكشف بصدق عن المثال المصرى الواسع الانتشار عن الإنسان صادق الولاء المستكين، والبارز فى التراتيل والصلوات. ويتضمن هذا الهدف الإيمان بأنه على الرغم من أن الآلهة قد خلقت القضاء والقدر فهذا لا يتنافى مع إرادة الإنسان وسلوكه فى التسليم بالقضاء أيضاً كما

---

[١٢٢] شاهيناز زهران : الأخلاق فى الفكر المصرى القديم، ص٧٩-٨٣.
[١٢٣] إريك هورنونج : وادى الملوك أفق الأبدية ، ص١٩٨.
[١٢٤] شاهيناز زهران : الأخلاق الفكر المصرى القديم، ص١٠٦.
[125] Shirun, I.G., schicksal, LA V, 599.

المنارة للاستشارات
www.

هو. وهذا يتوافق مع قوله تعالى: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"[١٢٦]، كما أن هذا يتوافق أيضاً مع الحديث الشريف: "إن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأ لعالم يكن ليصيبك"[١٢٧].

الخاتمة وأهم النتائج:

- تعتبر أهم فكرة جوهرية في هذا الموضوع الجدلي النقاش هي كيفية التوفيق بين الله والفعل البشري، والبشر والفعل البشري، فالله خالق والإنسان اكتسب، أو الفرق بين الخلق والاكتساب أو (الكسب) فهو معنى بين القدر والجبر.
- نجد أنه في قضية الجبر والاختيار بعض النصوص تشير إلى التسليم بالأقدار وكأن الإنسان لا يملك من أمر نفسه شيئاً، والبعض الآخر يشير إلى مسئولية الإنسان عن كل تصرفاته وضرورة اتباع التقوى وإلا سينالة غضب الإله وعقابه في الدنيا والآخرة، وبعض القصص والنصوص تجمع بينهما، كما في قصة سنوهي، فهو في أول القصة مسيراً حين هرب من مصر، وفي آخرها يحاول دفع القدر بالالتماس إلى ملك مصر.
- إذا كان المصري القديم قد استخدم كلمة 𓐍𓏏𓏏 مع حروف العلة فأصبحت (شاي)، و(شاو)، و(شايت)، و(شاءت). وهو نفس مسمى الكلمة في اللغة العربية من فعل (شاء) ومصدرها (المشيئة) للتعبير عن (الإرادة الإلهية)، وهي إحدى مراتب القضاء والقدر، ومن ثم فترجمتها من الهيروغليفية (المصير) الذي هو القضاء أولى. خاصة أنها تظهر باعتبار أن القدر (شاي) هو الذي يحدد المصير (فهو تجسيد للمفهوم وليس إله يعبد) عند محاكمة المتوفى فهو يقف أمامه مع رننوتت، حتى إذا ما تمت المحاكمة وعرف الإنسان مصيره فإنه يفضي إلى ما قدم إليه، إما جنة وإما نار. وقد ورد في الحديث الشريف عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة، فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض، فقال: "ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة" قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة"، ثم قرأ: "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى"[١٢٨].
- كلمة (شاي) منذ بداية استخدامها تأتي بمعنى: (يقدر)، و(يحدد) و(يكتب المصير)، ومن الملاحظ أن الكلمة تأخذ مخصص لفة البردي وكأنها تعني أن القضاء (المصير) مكتوب أو معد سلفاً، وهذا يتوافق مع ما ورد في الحديث الشريف عن عبد

---

[١٢٦] سورة يس ، الآية رقم (٨٢).
[١٢٧] منصور علي ناصف: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ج ٥، ص ١٩٢.
[١٢٨] صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: "فسنيسره للعسرى" (الليل: ١٠).

المنارة للاستشارات
www.

الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة"[١٢٩]. ومع إضافة ضمير الملكية تصبح (قدري) و(مصيري). وأحياناً تأخذ مخصص الإله الجالس، أي أن الإله هو الذي يقرر مصير الإنسان، وهذا قد يشير إلى فكرة الاستسلام لمشيئة الإله أكثر من الإشارة لتخيير الفرد والسؤال عن أفعاله. وأحيانا تأخذ مخصص الميت المدفون في وضع القرفصاء، إشارة إلى تقرير مصير المتوفى.

- من المفردات التي استعملت للتعبير عن المصير الجيد *Hr ib* بمعنى (القلب الراضي) و(المطمئن) و(المستريح) وظهرت في نصوص الأهرام فهو يعبر بذلك عن النفس المطمئنة وهي روح المتوفى الذي يعيش رحلة الوصول للعالم الآخر بسلام ورضا[١٣٠].

- في أول مرتبتين من مراتب القضاء والقدر (العلم والكتابة) نجد ما ذكر في النصوص هو المطابق للواقع الغيبي الذي لم نعلمه إلا من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم، عن العمر والعمل والسعادة والشقاء.

- وفى المرتبتين الأخيرتين (المشيئة والخلق) نجد أن تعاليم آمون إم أوبت بها نفس التصريح بالخلق والإرادة وقمة التسليم في المعاني كلها حتى أنها تبلغ بوحدانية اتبعها واهتدى إليها صاحبها: "الإنسان من طين وقش، والله هو مسويه، وهو يهدم ويبنى كل يوم، وهو يصنع ألف تابع حسب إرادته"، أي أن الواقع لمشيئته، وما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذه حقيقة الربوبية، ومعنى كونه رب العالمين، وأنه القيوم القائم بتدبير عباده[١٣١]، قال تعالى: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ....."[١٣٢].

- أما عن فكرة الجبر والاختيار في الحياة الدنيا فنجد أن بعض القصص تشير إلى أن الإنسان مجبر والآخر يشير إلى أنه مخير، والكثير منه يجمع بين الاثنين. وتعتبر تعاليم آمون إم أوبت مرحلة فاصلة، فقبلها نرى أن الصلاح فضيلة، والتفكير فى الموت يجعل الإنسان يسلك الطريق السوى فى الدنيا مخافة الله الذى سيجزيه على أفعاله. لكن فى تعاليم آمون إم أوبت نجد الإشارات إلى أن الإنسان هو المخطئ، ومهما فعل فلن يصل إلى الكمال، وأن الله عادل يمكن للإنسان أن يتوكل عليه، فهو يحب الخير ويمقت الغش، ونستنتج منها أنه كان موحداً يخاطب الإله (الله) فى تعاليمه[١٣٣].

---

[١٢٩] صحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

[١٣٠] قال تعالى: " يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي"، سورة الفجر، الآيات (٢٧-٣٠).

[١٣١] ابن القيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ١١٣.

[١٣٢] سورة القصص، الآية رقم (٦٨).

[١٣٣] سليم حسن: الأدب المصرى القديم، ج ١، ص٢٧٦- ٢٧٧، ٢٨٢.

المنارة للاستشارات
www.

- أما عن فكرة الجبر والاختيار في العالم الآخر فيمكن تتبعها بوضوح منذ نصوص الأهرام والملك فيها كان مخيراً مهدداً القدر لأنه قوي يصل للآلهة ويتحد معهم، وكذلك في نصوص التوابيت، وكتاب الموتى، فالمتوفى يملك الأدوات التي تجعله يعبر للعالم الآخر آمنا مطمئنا، أما في الكتب الأخرى ككتاب ما هو في العالم الآخر، وكتاب الكهوف، وكتاب البوابات، يصل فيه الإنسان إلى مصيره إما جنة وإما نار، ولا تخيير فيه.

- لم يستسلم المصري القديم لأقداره دائماً فكان يلجأ للحماية والتحصين قبل وقوع الأخطار، وذلك عن طريق الرقى والتمائم والتعاويذ التي تصاحب الإنسان منذ مولده، وحتى وفاته وبعدها حيث توضع التمائم على المومياء. إلا أن ذلك لم يكن في عهد أخناتون، وقد يكون هذا من الدلائل الإيمانية المميزة لعصره.

- كما كان يلجأ للإله أيضاً عند إصابته أو إصابة أحد أقاربه بأي ضرر كمرض ونحو ذلك، وإذا شفاه وقضى حاجته يقدم له القرابين وكأنها شكر وهدية للإله. كما كان يعلن توبته واستغفاره للإله، بل إن تعاليم كاجمني تحذر الإنسان من الذنوب حتى لا يلحق بها العقاب الإلهي.

- بل إنهم كانوا يعتقدون أن الذات الإلهية وفقا لمشيئتها قد تطيل عمر الإنسان أو تغير قدره المكتوب عليه إذا كان سيئاً إلى الأفضل. وكان من له حاجة يبتهل إلى الإله بأسمائه أولا ثم يدعو بحاجته عنده ثم الالتماس بالبركات والصحة وطول العمر و....الخ.

- وفي الختام فإن ماهية القضاء والقدر يمكن التعرف عليها في عقيدة المصري القديم على النحو التالي أن الإله خلق العالم بإرادته لكن الإنسان مسئول عن أفعاله وله حرية الاختيار، وعليه تبعات فعله الأخلاقي، لذلك فهو يجازى عليها.

- ومن هنا نجد التطابق بين ماهية القضاء والقدر وضرورة التسليم بهما في عقيدة المصري القديم وفي العقيدة الإسلامية خاتمة ومصوبة العقائد السابقة لها. وهذا يعني أن منشأ فكرة القضاء والقدر عند المصري القديم منشأ إلهياً سماوياً جاء بالوحي من السماء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر العربية:

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني، (ت ٧٢٨ هـ).
شرح العقيدة الواسطية، تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري، الرياض، ١٩٨٢م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ).
صحيح البخارى، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ط ١، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.
- الرازى، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ).
مختار الصحاح، ترتيب: السيد محمود خاطر، ط ٧، وزارة المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ).
الدعاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
- الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (ت ٥٠٥ هـ)
إحياء علوم الدين، مضاف إليه: تخريج الحافظ العراقي، ط ٢، دار الغد العربى، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،ط ٢، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٧م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).
المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١ هـ).
لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

- أبو الوفاء محمد درويش: القضاء والقدر، مكتبة الإيمان، ط ٣، مكتبة الإيمان، القاهرة، ٢٠١٤م.
- إريك هورنونج: وادى الملوك أفق الأبدية: العالم الآخر لدى قدماء المصريين، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- إيفان كونج: السحر والسحرة عند الفراعنة، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثانى، القاهرة، ١٩٩٩م.
- جون بينز وآخرون: الديانة فى مصر القديمة، ترجمة: محمود ماهر طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.
- جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ديمترى ميكس وكريستين فافار ميكس: الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مشروع الألف كتاب الثانى)، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- سليم حسن: الأدب المصرى القديم، الجزء الأول: في القصص والحكم والتأملات والرسائل، مطبوعات كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٩٠م.

المنارة للاستشارات
www.

- سليم حسن: الأدب المصرى القديم، الجزء الثاني: في الدراما والشعر وفنونه، مطبوعات كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٩٠م.
- شاهيناز زهران: الأخلاق فى الفكر المصرى القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.
- عبد العزيز سيف النصر وآخرون: المنهج الإسلامى فى العقائد والأخلاق، ط ١، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٧م.
- عبدالعزيز صالح: الوحدانية فى مصر القديمة، المجلة ٣١، (يوليو ١٩٥٩م)، القاهرة.
- عبد العزيز صالح: ماهية الإنسان ومقوماته فى العقائد المصرية القديمة، حوليات كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٢٧ (١٩٦٥)، ١٩٦٩م.
- عبد العزيز صالح: الأسرة المصرية فى عصورها القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.
- عبد العزيز صالح: تاريخ الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول: مصر القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م.
- عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها: فى الاتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٤م.
- فايزة هيكل: مفهوم الموت عند قدماء المصريين، مجلة ذاكرة مصر، إصدارات مكتبة الإسكندرية، العدد ٢٦ (يوليو ٢٠١٦م).
- محرم كمال: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة، ١٩٩٨م.
- محسن لطفى السيد: تفسير كتاب ما هو كائن فى العالم الآخر، القاهرة، ١٩٩١م.
- محمد الغزالى: عقيدة المسلم، ط ٥، دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.
- محمد ربيع الجوهرى: عقيدتنا، ط ٩، ج٢، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- محمد نعيم ياسين: الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه، ط ١، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- مروان حسن حمود: القضاء والقدر، ط ١، كنوز المعرفة، جدة، ٢٠١٤م.
- منار مصطفى محمد اسماعيل: وسائل مساعدة المتوفى فى رحلة العالم الآخر: دراسة تحليلية، مجلة اتحاد الآثاريين العرب، المؤتمر الخامس عشر، ٢٠١٢م.
- منتجمري وات: القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحاه: القرون الثلاثة الأولى، ط ١، دار الصابوني، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- منصور علي ناصف: التاج الجامع للأصول في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ج ٥، جريدة صوت الأزهر، القاهرة، د.ت.
- ياروسلاف تشيرني: الديانة المصرية القديمة، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب (٦)، هيئة الآثار المصرية، ١٩٨٧م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

-Anderson, R.G., The British Museum,
- Erman, A. und Grapow, Worterbuch der Agyptischen Sprache, Bd.1-6, Berlin, 1971.
- Faulkner, R.O.; The Ancient Egyptian Book of the Dead, British Museum, 1985,.
Shirun, I., "Schicksal", LA V, 598-599. -

المنارة للاستشارات
www.

The Essence of fate in the old Egyptian doctrine

DR.Rehab Abd El Menaam Baza•

Abstract:

What is the fate and destiny in the doctrine of the ancient Egyptian:

The issue of God is one of the most controversial issues among people, since every person wants to argue with them scientifically or unknowingly. He asks: Did man create fate or choice? Does man have the right to choose his fate and destiny? or not? The judiciary is a word derived from the verb "spent" multi-meanings, but fate is of ability and appreciation, and fate is the judiciary and governance of God Almighty.

If the belief in destiny and destiny is one of the conditions of faith in which Islam is valid, such as faith in God, his angels, his books and messengers, and the Day of Judgment and the fate of his good and evil, faith in the Qur'an was known to the ancient Egyptians. The ancient Egyptian texts reflected some of the linguistic terms that expressed the meaning of " And (good pot) from the ancient state and continued until the Greek-Roman era of Egypt. Some aspects of this subject remain unclear, and raise a number of questions to identify what is the fate of the ancient Egyptian, so I chose this subject for study.

Keywords:

Elemination - Destiny – Determination – Forced – Choice – Pray for – Magic – God- Shay.

• **Doctor of Ancient Archaeology** rehab_baza@hotmail.com

المنارة للاستشارات

www.